البنـــاء
السنة الثامنة / الاثنين / 27 حزيران 2016 / العدد 2113
Eighth year / Monday / 27 June 2016 / Issue No. 2113

بريطانيا: ثورة الطبقة الوسطى

■ حميدي العبدالله

النتائج التي أسفر عنها الاستفتاء على بقاء أو خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، وتصويت غالبية الناخبين لصالح الخروج من الاتحاد، حدث ليس عادياً، لم يكن وليد الصدفة، أو نتيجة لطغيان النزعة القومية.

هذا الحدث الذي يرقى إلى مستوى الثورة، يمكن وصفه بأنه ثورة الطبقة الوسطى ضدّ كبار الأغنياء في بريطانيا وضدّ الهجرة. وهذا ما أفصحت عنه الكلمة التي ألقاها رئيس حزب الاستقلال فور إعلان النتائج الرسمية، حيث وصف هذا اليوم بأنه يوم استقلال بريطانيا ويوم الانتصار على كبار الأغنياء وكبرى الشركات، وانتصار للشركات الصغيرة والإنتاج الصغير.

من المعروف أنّ العولمة ارتبطت بها ظاهرتان معروفتان، الأولى، تعاظم سطوة الشركات متعدّدة الجنسيات، وإخضاعها للاقتصاد الصغير، والتهرّب من الضرائب، فضلاً عن تأثيرها المعروف على صانعي القرار. وباتت هذه الشركات تسيطر على غالبية عائد رأسمال معيدة إنتاج ظاهرة الفروق الحادّة في توزيع الثروة والدخل القومي، وهي ظاهرة رصدها بتفصيل كبير «توماس بكيتي» في كتابه «رأس المال، في القرن الواحد والعشرين».

بديهي أنّ الميل نحو التمركز، واحتكار الثروة وما يلحقه ذلك من أضرار بالطبقة الوسطى، وتحديداً أصحاب الشركات الصغيرة، كان لا بدّ أن يقود إلى ولادة مقاومة ضدّ هذه الهيمنة آجلاً أم عاجلاً، ولكن الطبقة الوسطى لم تكن قادرة بمفردها على خلق حركة شعبية تستطيع تحدّي الرأسمال الكبير المدعوم من النخب الحاكمة في الغرب.

الظاهرة الثانية المعروفة، هي الانفتاح على الأيدي العاملة الرخيصة التي تتمركز في بلدان الجنوب، حيث قامت الحكومات الغربية في الدول الصناعية المتقدمة تحت تأثير ضغط الشركات الكبرى بتسهيل تدفق ملايين المهاجرين من قارات آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية. وهؤلاء المهاجرون ترغمهم ظروفهم المعيشية على العمل بأجر أدنى بكثير من عمال الدول الصناعية الأصلية.

عندما كانت الاقتصادات الغربية تنمو بمعدلات عالية، كانت قادرة على استيعاب أفواج المهاجرين من دون أنٍ يكون ذلك على حساب العمال الأصليين، ولكن عندما هزّ الركود بدءاً من عام 2000 الاقتصاد الغربي، وتحوّل إلى أزمة في عام 2008، وانكماش معدلات النمو، باتت قدرة الاقتصادات الغربية على استيعاب المهاجرين والحفاظ على وظائف العمال الأصليين في غاية الصعوبة، ولأنّ العمال المهاجرين لديهم استعداد للعمل بأجر أقلّ، فإنّ هذا بات يقلق العمال الأصليين، الذين أصبحوا أكثر استعداداً لقبول أطروحات اليمين القومي المتعصّب في الدول الغربية، ولهذا بدأت الأحزاب اليمينية بالصعود من جديد. ويمكن القول إنّ الطبقة الوسطى المتضرّرة من العولمة وهيمنة كبار الأغنياء، تحالفت الآن مع العمال المعارضين للهجرة وأنتجت هذه الأغلبية التي صوّتت لصالح الانفصال عن الاتحاد الأوروبي، وهي الظاهرة المسؤولة عن صعود دونالد ترامب المرشح الجمهوري الوحيد في الولايات المتحدة.

الرسم على الماء

■ شهناز صبحي فاكوش

في زمن الجنون كيف يمكن أن تحافظ على عقلك، وكلّ ما حولك يدور عكس عقارب الساعة... تبحث عن الخير فلا تجد إلا غربان الشرّ تحوم حولك، تنعق على الأشجار العالية.. تبحث عن الحياة، فلا تجد مبتغاك بين أكداس الموت المرعب..

تبحث عن النقاء فلا تجد إلا الضباب، يحول بينك وبين الحقيقة المتوارية خلف جدران وعوالق، زرعها الحاقدون في دربك.. تسعى إلى انتشال ما يمكن إنقاذه من بقايا الأخلاق الحميدة.. في زمن الفساد المتفشي، فتجد ريشتك ترسم على الماء..

الأزمة في طولها الزمني، وعرضها المنتشر في أزقة الوطن وزواريبه، أصبحت مرتعاً للحيتان كي تتورّم أكثر.. وللأفواه كي يزداد يباسها بجفاف الحلوق.. وأصبح المنافقون والموتورون هم رافعو سيوف الإنقاذ؛ خلف الخسة والمتاجرة بكلّ محرّم..

هي جرائم موصوفة بدءاً من بورصة لقمة عيش المواطن.. وانتهاءً بدعم ظاهر وخفي لأعداء الوطن.. مروراً بابتزاز البعض للبعض خاصة في المناطق الساخنة. بين سماسرة وتجار أنواعهم وأشكالهم ووصوفاتهم مختلفة الألوان والمضمون واحد.

وطن بأهله وكلّ المتمسكين به محبة وعشقاً لا منّة ولا تكسّباً.. علَّمَ أيوب قوة الصبر والاحتمال.. لكن المصيبة إنْ بدأ يشعر أنّ كلّ ما حوله يتخلى عنه.. وهو يتشبّث بتلابيبه أكثر وأكثر، حتى ليلتصق الجلد بالتراب.. تُرباً وتِبراً مع ياقوتة الدم الأحمر..

زمنٌ متغيّراته تحملك إلى عوالم تشعرك أنك الغريب في مكانك.. جانٍ ولست مجنيّاً عليه.. سجانٌ ولست أسير حبك لأرضك رغم عذاباتها.. تدور في عشّ الدبابير ومساحات الجنون، لكنك في النهاية عاشق مَلكٌ في حب بلادك بلا صولجان ولا تاج.

البنتاغون يتجاذب التصويت على ضربةٍ لسورية.. وكأنها مصدر قلق لأمنه القومي.. والحقيقة أنّ بلادهم واستخباراتهم، هي مصدر كلّ جرائم عصابات الإرهاب العابث والموت المتجوّل في بلادنا، ولا تقلّ خسة عن عورات فيه تكشفت وظهرت بشاعتها.

ضمائر عفنة لم تحمل بندقية لكنها تنال من كرامات الناس، حين تسهم في طعنه وهو مبتسم في غفلة منه.. تنتفخ أوداجهم وهم يتحدّثون عن القيم والثبات والأخلاق.. وفي المقلب الآخر يتفاقم فيهم الفساد بدلاً من أن يتراجع لمصلحة الوطن والمواطن.

الإرهاب يخرق الهدنة، المصالحات ليست كاملة البراءة. الأصدقاء تثبت مواقفهم. الأعداء يدورون زواياهم في موضع.. وتزداد أسنة حرابهم في مواقع أخرى.. تخف حرب الإعلام ضدّ سورية من قنوات الخليج والناطقون بألسن حكامها يلجمون..

سورية باقية وقائدها منتصر. شعبها صامد وتضحياته أعظم ما يسجله التاريخ، أما من ناصبها العداء من حكام، فطابور زوالهم ما زالوا فيه مصطفين كلّ ينتظر دوره.. رفعوا أصواتهم ضدّها وكادوا لها سخرت لهم المنابر المجلجلة.. واليوم أين هم؟

دواعش ونصرة وفيالق، جيوش مختلفة الأسماء والوصوف، كلها تعبث في مصيرها وتحاول التحكم بمصائر أبنائها.. يغذيها الحاقدون والخارجون عن القانون ودول لم تحتمل أن تراها في المقدّمة.. لكنهم مخفقون وهي باقية منتصرة.. وهم زائلون..

وهذا لا بدّ ينطبق على كلّ من يكيد لها من دواعش الداخل، ونصرة الفساد، وأفراد ومجموعات الانتهازيين، الذين يستفيدون من الحالة التي تعيشها البلاد وظروف العباد، حيث تطفو الطحالب.. وأما الثمين فيبقى في قاع البحر ينتظر الغواص الماهر.

اليوم نحتاج إلى وعي يؤسّس لإعمار العقول، ويؤثث أرواحاً نقية، بعيدة عن خلط المفاهيم، ناصبة لميزان المقاييس العادلة.. رافضة القيم المشوّشة، وأشهاد الزور، حيث لا أرض مستباحة.. ولا مجازفة بمصير وطن، وشعب أعطى كلّ ما يملك..

نحتاج قوة القرار. وصوابية رأي من يسهم فيه، وصدق المعلومة، وقراءة الماضي. ودراسة دقيقة للحاضر، الذي ينبئ عن المستقبل الذي نريده نقياً صافياً زلالاً.. فيه بياض الثلج وصفاء حقول السنابل ونقاء لأكسجين، وإلا فنحن نرسم على الماء..

الأسد والجيش

- تضيء مناسبة تناول الرئيس بشار الأسد للإفطار مع ضباط وجنود الجيش العربي السوري على مكانة خاصة للجيش في وجدان وعقل الرئيس الأسد.
- في عدة مناسبات مشابهة يحرص الأسد على تمييز الجنود والضباط والشهداء وأسر الشهداء عن سائر شرائح المجتمع.
- تفرض الحرب في سورية مكانة وقيمة خاصة للجيش والشهداء في الوجدان العام للشعب السوري، ويعبّر الرئيس عن هذه المكانة بلسان شعبه.
- لكن من يتابع سيرة الرئيس الأسد يكتشف أنّ الأمر سابق زمنياً وأعمق وجدانياً وفكرياً.
- تقول التقارير الإسرائيلية قبل الحرب إنّ الأسد كان ينفق ثلثي وقته وجهده للجيش.
- أعاد الأسد تسليح وتدريب وهيكلة الجيش ونظر إلى انسحابه من لبنان كفرصة لإعادة الجيش إلى مهمته الأصلية كجيش محارب.
- عندما يتحدث الرئيس الأسد يكتشف محدّثه مكانة عميقة للجيش في فلسفته السياسية كجسم عابر للمناطق والطوائف والأعراق ونسيج يحمي الوحدة الوطنية ويمثلها ويشكل حزباً اجتماعياً لقضايا الوحدة والأمن القومي والدولة المدنية.
- مع الأسد سيكون للجيش دور بعد الحرب في بناء فكري ثقافي لسورية الجديدة الموحدة ودور قتالي متفوّق ضمن خيار المقاومة والتحرير.

التعليق السياسي

التقرير الأسبوعي لمراكز الأبحاث والدراسات الأميركية

هيلاري وترامب: السجال الحامي حول نقاط القوة والضعف

لدى إعداد التقرير صدرت نتائج الاستفتاء البريطاني بتأييد محدود للخروج من الاتحاد الأوروبي، وسنعالج تداعياته في تقارير مقبلة.

الإشارة الأولية لما شهدته واشنطن من ردّ فعل يمكن وصفها: «عرس في لندن، ونكسة في واشنطن» لعلّ ذلك أبرز تعبير لرؤية واشنطن ونخبها السياسية والفكرية والمصرفية لقلقها من خروج بريطانيا من إطار الاتحاد الأوروبي، نظراً لجملة أسباب لعلّ أبرزها مكانة «لندن التي تعتبر العاصمة المالية للاتحاد الأوروبي»، والأهمّ لموقع بريطانيا «كصوت أميركا داخل الاتحاد»، وحليفها الأشدّ وفاء وانصياعاً، أوروبياً، يأتي خروج بريطانيا تتويجاً لحراك جماهيري واسع ضدّ سيطرة المؤسسة السياسية، في بروكسل، على الحياة اليومية وتراجع مكانة الطبقة الوسطى.

الاهتمامات بالانتخابات الأميركية تتواصل جنباً الى جنب مع جدل تقنين الأسلحة الفردية الذي مُني بهزيمة مدوية على أيدي الحزب الجمهوري في مجلس النواب، عقب رفض أغلبيته إدراج المسألة على جدول الأعمال للتصويت عشية إقفال المجلس أبوابه والذهاب الى العطلة الصيفية.

سيستعرض قسم التحليل حراك وتطورات الانتخابات الرئاسية بين المرشحيْن، وتقاطع خطاباتهما حول حال الاقتصاد خلال الأسبوع المنصرم؛ والمرور على العقبات الموضوعية التي تعترض مسارهما.

الإرهاب والسياسة الخارجية

اعرب معهد كاتو عن اعتقاده بأن هواجس السياسيين من الإرهاب أدّت بهم الى الارتهان للظاهرة وأضحت «السياسة الخارجية الأميركية مخطوفة من قبل الإرهاب.. والاعلام الخاص بداعش يصمّ الآذان ويجد حوافز للقادة السياسيين للمضيّ في ارتكاب مواقف غبية تحت واجهة الحرب على الإرهاب». واستدرك بالقول انه ينبغي الإقرار بأنّ «الوسائل الإعلامية ليست هي المسؤولة عن نشوء داعش.. بل نفذت بحماس خطاب القادة السياسيين الحادّ؛ مما أدّى لاستحالة قيام ايّ منهم لتغيير لهجة الخطاب أو إعادة صياغة الجدل حول السياسة الخارجية». أما المسؤولية «فتقع على الإجماع السياسي المشترك بين الحزبين في واشنطن لتنفيذ السياسة الخارجية التي أرست دعائم التدخل اللامتناهي منذ 11 أيلول.. منذ غزو العراق عام 2003 وامتداداً الى الدعم الأميركي الراهن لجهود (الحرب) في اليمن وليبيا».

سلط معهد كارنيغي الضوء على ما اسماه «الجذور الايديولوجية لتنظيم داعش.. كنتاج عملية تهجين بطيئة بين السلفية العقائدية والتيارات الاسلامية الاخرى»، حاثاً صناع القرار على بذل الجهود «لفهمها.. وإلحاق الهزيمة بالتنظيم؛ الذي يستند الى تيار متزمّت من السلفية يُعرف بالوهابية». موضحاً انّ تلك الأسس «مزجت حركة الصحوة بين المفاهيم السلفية وبين أفكار ثورية مستوحاة من الإسلام السياسي.. تأثرت بجماعة الإخوان المسلمين؛ وأدّت إلى انقسامات أنتجت تيارات دينية جديدة لا يمكن التنبّؤ باتجاهاتها؛ في المملكة العربية السعودية ومصر». وحذر المعهد من خطورة ايديولوجية التنظيم التي «تشكل تحدياً طويل الأمد؛ وإذكاء الكراهية الطائفية»، خاصة أنّ التنظيم «في صدد تحويل تعاليمه الدينية الى مدرسة معترف بها في التطرف».

حذر معهد جيرمان مارشال الألماني من استفحال الإرهاب في حوض البحر المتوسط مما يهدّد الأمن، اذ انّ «منطقة المتوسط تبقى خزاناً للإرهاب والعنف السياسي المستند الى الايديولوجيات العلمانية لليسار واليمين، ومشاعر القومية والمطالب الاثنية.. الذي يعدّ الصعود الحادّ في إرهاب حزب العمال ضدّ تركيا أبرز الأمثلة عليه». وأوضح انه بالإضافة الى تركيا، فإنّ اليونان «لا تزال تواجه إرهاباً متواصلاً وانْ منخفض الوتيرة من قبل تيار اليسار وخلايا الفوضويين، جنباً الى جنب مع تطرف التيار اليميني». وأضاف محذراً «أنّ الضغوط الاقتصادية طويلة الأمد وعدم الاستقرار السياسي يغذيان عوامل استنهاض ظروف انتشار الإرهاب؛ فضلاً عن الصعود البارز للحركات الشعبية التي قد تحبّذ بروز ظاهرة كره الأجانب، ومناهضة العولمة أو الإرهاب العدمي ببساطة على هامش السياسات الراديكالية».

في سياق متصل، تناول معهد جيرمان مارشال الألماني «نموذجي الإرهاب الجديد والقديم في منطقة حوض البحر المتوسط»، معتبراً بروز النموذج الجديد في أعقاب «فشل السلطات السياسية، أو عدم رغبتها، في التعامل مع الظواهر العنفية التقليدية؛ كما أنه يطمح لملء الفراغ الناجم عن تراجع او تدهور النظام». واوضح انه في هذا الصدد فإنّ «تنظيم داعش قد يخسر معركته للوصول الى الحكم حتى قبل إلحاق هزيمة عسكرية بتشكيلاته». أمام المشهد الراهن في اوضاع داعش فإنّ «الإرهاب الجديد لم يحلّ محلّ سلفه القديم.. وخطف تنظيم داعش منصب الزعامة من التنظيمات الإرهابية الإسلامية مثل القاعدة دون الحاجة للحلول محلها او استيعاب تشكيلاتها في صفوفه».

وأضاف انّ «كلّ ظواهر الإرهاب القديم تقريباً لا زالت قائمة في حوض المتوسط، وما الإرهاب الاسلامي الا أبرزه وأشدّه دموية».

فلسطين

اعتبر معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى زخم التحركات السياسية الراهنة «لإيجاد حلّ للصراع الفلسطيني / الإسرائيلي، وتصاعد المبادرات» يدلّ على انّ «الأجندة الدولية» لا زالت تعير المسألة اهتماماً «وقد يدفع الفلسطينيون او الولايات المتحدة او غيرهما.. استصدار قرار من مجلس الأمن الدولي حول قضايا مثل المستوطنات؛ أو الاعتراف بالدولة الفلسطينية». كما اعتبر مساعي الحكومة الفرنسية الأخيرة بأنها تصبّ في محاولتها «لملء الفراغ الناجم عن دور واشنطن الضعيف في المنطقة، والتأثير على الأوساط المحلية قبل الانتخابات الوطنية الفرنسية» العام المقبل. وأوضح انّ مشاركة وزير الخارجية جون كيري في مؤتمر باريس الأخير «لا تعني مشاركة بدافع منح الدعم الفعّال للمبادرة بقدر ما هي رغبة للتأكد من أنها لا تقف في طريق التحركات الأميركية المحتملة».

ليبيا

فنّد معهد المشروع الأميركي مشاعر «التفاؤل داخل أروقة وزارة الخارجية حول ليبيا وداعش»، واعتبره انه «في غير محله.. اذ انّ الحرب الأهلية الليبية تستدعي حلاً حقيقياً، مخالفاً لصفقات تعقد في الغرف الخلفية للفنادق الأوروبية». وشدّد على دعمه لتصريحات وزير الخارجية جون كيري بأنّ «الولايات المتحدة بحاجة لاستراتيجية مواجهة شاملة لإلحاق الهزيمة بداعش.. بيد أنّ الاستراتيجية الشاملة هي بالضبط ما نفتقده.. فالتسويات التفاوضية تعقد لكنها لا تشكل حلاً بينما يتأقلم تنظيم داعش وينمو تنظيم القاعدة».

تنافس يعرّي الطرفين

بينما تتجه الأنظار الى انعقاد مؤتمري الحزبين تزداد حدّة المنافسة بين المرشحين اللذين لا يوفران جهداً لاستغلال ما يمكن استغلاله من بوابات سياسية للتنديد بالبرنامج الانتخابي والنيل من الآخر.

دشن المرشحان دخول سوق المزايدة السياسة بإطلاق خطابين متوازيين حول الحالة الاقتصادية وبرامجهما لتعديل البوصلة الاقتصادية، تخللها هجوم شخصي لكليهما، اتساقاً مع العرف الانتخابي الأميركي.

استند ترامب الى تجربته التجارية كمؤشر على قدرته الناجحة في إدارة دفة الاقتصاد حيث بدأ حياته «في حيّ بروكلين بنيويورك، قبل زمن ليس بعيد، بقرض مالي صغير استطاع استثماره بنجاح لبناء مشاريع تجارية تقدّر بنحو 10 مليار دولار». واضاف «كان لديّ دوماً موهبة لإنشاء مصالح تجارية، والأهمّ، إيجاد فرص عمل. انها موهبة بلادنا بأمسّ الحاجة إليها».

ومضى بسوق اتهاماته لمنافسته هيلاري كلينتون بأنها عازمة على إلغاء المادة الثانية من التعديلات الدستورية، التي تشرّع اقتناء السلاح الفردي، دون أدنى دليل؛ وأطلق وعوداً تدغدغ غرائز الفئات الأشدّ يمينية بأنه سيجري تعديلات على قوانين الهجرة بحيث تتيح الفرصة للعاطلين الأميركيين شغل مواقع تدرّ دخلاً معقولاً؛ ومواجهة الدول التي تنتهك أصول التبادلات التجارية، في إشارة بيّنة إلى الصين؛ ورفع القيود المفروضة على مؤسسات استخراج الطاقة؛ وإلغاء برنامج الرعاية الصحية الشامل – أوباماكير؛ المصادقة على حزمة ضخمة من الإصلاحات الضرائبية (الكود السري لتخفيض الضرائب المخفف أصلاً عن الشرائح الاجتماعية الأشدّ ثراء)؛ فرض إجراءات مسلكية قاسية جديدة هدفها استعادة كرامة منصب وزير الخارجية.

حقيقة الأمر أنّ الرئيس يمارس صلاحياته الدستورية بسياسة الإجماع، بين أقطاب حزبه أولاً، وتأييد نسبة معتبرة من خصومه في الحزب الآخر، وهو العنصر المفقود في طبيعة تفكير وتوجهات ترامب. لذا يطلق التصريحات على عواهنها دون الالتفات إلى تبعاتها أو محاسبته من قبل جمهور الناخبين. علاوة على ذلك فإنّ ترامب يثير مشاعر الامتعاض والكراهية لدى قيادات الدول الاخرى مجتمعة لعدم ثقتها بصوابية تفكيره وسياساته انْ استطاع الوصول للمنصب الرئاسي.

من الخطأ طرح ترامب جانباً والاهتداء بتصريحاته المثيرة للقلق، معظم الأحيان. ولديه من الحنكة العملية قدراً يؤهّله على إدارة جولات مفاوضات، كما يعتقد الضالعون في السياسة الأميركية.

في هذا الخصوص، توجه ترامب إلى جمهور المرشح بيرني ساندرز طالباً ودّه وتأييده نظراً لعدم اقتناعه بأحقية المرشحة هيلاري كلينتون في تبوّؤ المنصب متوسّلاً لهم «دعونا نمضي معاً لإصلاح الخلل في النظام السياسي لصالح عموم الأميركيين؛ تشمل الاتفاقيات التجارية المهينة القائمة. التزوير لا يطال النظام السياسي فقط فحسب، بل حالة الاقتصاد برمّته».

كان من ضمن التوقعات لجوء ترامب الى استغلال قضية البريد الالكتروني الخاص بهيلاري كلينتون، خلافاً لمعايير وزارة الخارجية آنذاك والتي تمّ تعديلها على الفور لسدّ الثغرة الأساسية التي تتيح للمسؤول استخدام خدمة بريد الكتروني تجاري لا يخضع لسلطة الدولة في التواصل مع من يشاء ومتى شاء.

وسلّط ترامب الضوء مراراً على الاستثمارات المالية للزوجين كلينتون، خلال فترة خدمتها في الخارجية، واتهامها باستغلال منصبها السياسي لتكديس ثروة مالية لحساب «مؤسسة كلينتون. الخيرية. وردّد ترامب انّ هيلاري «عملت طيلة حياتها (العملية) زيادة ثروة مجموعات (الضغط) الخاصة، وتلقي أموال من تلك المصادر أيضاً. لقد أتقنت هيلاري كلينتون اللعبة السياسية للمنفعة الذاتية والسرقة.. تقدّم خدمات لأنظمة قمعية وآخرين. عند مغادرتها منصبها تلقت 21.6 مليون دولار لقاء خطاباتها أمام مسؤولين مصرفيين في وول ستريت.. بعضها خطابات غير معلنة ولا تنوي الإعلان عنها للجمهور». ومضى قائلاً إنّ الزوجين كلينتون «تلقيا 153 مليون دولار لقاء خطابات ألقيت امام كبار رجال الأعمال ورؤوس اللوبيات المتعدّدة وحكومات أجنبية منذ العام 2001».

دبّ الحماس في فريق ترامب الانتخابي عقب صدور نتائج استطلاع للرأي أجراه معهد غالوب الرصين، مشيراً إلى تفضيل أغلبية بسيطة من الأميركيين، 53%، ترامب على منافسته في إدارة الملف الاقتصادي، مقابل 43% لكلينتون. وربما كانت نتائج الاستطلاع الحافز الرئيس لكلينتون التحدّث بحال الاقتصاد مبكراً مطلع الأسبوع الماضي.

ترامب

كلينتون

استخرجت كلينتون من جعبتها خبرتها السياسية الطويلة في التصدّي لترامب خاصة لفقدانه «الخطة والكفاءة والخبرة، بعيداً عن الشعارات البرّاقة». واستنجدت بشبه الإجماع الداخلي من «الليبراليين والمحافظين» على السواء الذين ينظرون إلى ترامب بعين القلق والمجمعين على انّ ترامب «سيمضي بنا إلى الخلف نحو الركود.. لمرحلة ما قبل الأزمة الاقتصادية». وشدّدت كلينتون على انّ ترامب «سيتلاعب بأركان الاقتصاد الأميركي لمصلحة وول ستريت؛ الأمر الذي لن يحدث ابان رئاستي، وأنا أضمن لكم ذلك».

وسخرت كلينتون من إيحاءات ترامب حول الدين العام الأميركي قائلة «إنّ آليات الولايات المتحدة لا تعمل وفق طريقة ترامب»، في إشارة إلى إعلانه حالة الإفلاس مراراً. وأوضحت أنّ المجازفة في مكانة ومصداقية الولايات المتحدة قد تقودنا الى كارثة اقتصادية، من شأنها ان تقطع تسلسل 225 عاماً من الثقة الراسخة بالاقتصاد الأميركي من قبل الشعب الأميركي وبقية شعوب العالم».

قرصنة أجهزة حملة كلينتون

بعد الكشف الأسبوع الماضي عن قرصنة واسعة لأجهزة الحزب الديموقراطي، تلقت كلينتون أخباراً غير سارة باكتشاف عملية قرصنة لأجهزة «مؤسسة كلينتون»، وكذلك لأجهزة حملتها الانتخابية، أدّت إلى الكشف عن معلومات وبيانات حساسة.

ورد انّ أعمال القرصنة الأخيرة طاولت نحو 4000 عنصر ومؤسسة على علاقة مباشرة بالحملة الانتخابية، من متبرّعين وخطط انتخابية وشؤون أخرى. وأوضحت وسائل الإعلام الأميركية ان مكتب التحقيقات الفيدرالي – اف بي آي، ووكالة الأمن القومي شرعا في إجراءات التحقيق للتعرّف على حجم المادّة المقرصنة والمسؤولين عنها. في المقابل، أعلنت الحكومة الروسية انه لا شأن لها بذلك.

ومن بين أحدث البيانات التي أفصح عنها ولم ينشرها «المقرصن غوسيفر 0.2» وثائق تتعلق بعمل قيادات الحزب الديمقراطي، الذين انتابهم قلق عميق. وأوضحت شبكة بلومبيرغ للأنباء «لو استطاع الديمقراطيون التوصل الى الهوية الخفية وضلوع وكالات الاستخبارات الروسية، فباعتقادهم انّ موجة الغضب الشعبي (من الساسة) سترتفع حدّتها لتسبق الكشف عن المعلومات المحرجة» للحظة. يُشار إلى أنّ المقرصن المذكور «هدّد» بالكشف عن آلاف الوثائق والمذكرات الداخلية.

لعلّ إحدى المؤشرات على صدقية ادّعاء المقرصن كشفه عن ملف تحت عنوان «نقاط الضعف في مؤسسة كلينتون – النسخة الأصلية النهائية»، المكوّن من 42 صفحة يشمل تلخيصاً داخلياً للثغرات الكبرى استناداً إلى ورود اسم المؤسسة في وسائل الإعلام والتغطية السلبية.

من بين العناوين المتعلقة بالشرق الأوسط، جاء في المذكرة الداخلية:

تلقت مؤسسة كلينتون تبرّعات من أفراد تربطهم علاقة بالسعودية ابان شغل (السيدة) كلينتون منصب وزير الخارجية؛

رجل أعمال ملاحق له «ارتباطات بشركة الالومنيوم المملوكة للدولة البحرانية»، أعطى ما بين 1 و 5 مليون دولار لمؤسسة كلينتون؛

من بين المتبرّعين لمؤسسة كلينتون الذين كشف عنهم عام 2009 كان عدد من الحكومات الأجنبية التي قدّمت ملايين الدولارات».

مآزق ترامب

خفّت وتيرة الخطاب المناوئ لترامب من داخل صفوف الحزب الجمهوري، بيد انّ مندوبي المؤتمر «لهم مطلق الحرية في الإدلاء بالتصويت او معارضة ايّ مرشح يرونه، إلا في حال تدخل لجنة الإجراءات داخل قاعة المؤتمر»، ومناشدتها التصويت لصالح مرشح بعينه.

وأوضح مندوبون سابقون لمؤتمر الحزب الجمهوري انّ «المندوبين لديهم الحرية المطلقة للإدلاء بأصواتهم كما يرتضي ضميرهم، منذ بدء المؤتمر الحزبي عام 1856 ولحين الدورة السابقة عام 2012». الاستثناء الوحيد، وفق أولئك، كانت حملة الرئيس جيرالد فورد التي أيدت تعديل نصوص إحدى بنود الإجراءات كجزء من استراتيجية إجرائية لحرمان ترشيح حاكم ولاية كاليفورنيا السابق، رونالد ريغان.

ينبغي التذكير بسلطة لجنة الحزب في الولاية التي تشترط تصويت مندوبيها لصالح مرشح بعينه، مما يعزّز الجدل حول أولوية السلطات: هل الاولوية للجنة الولاية او اللجنة المركزية للحزب.

تتكوّن لجنة الإجراءات المركزية من 112 فرداً، موزّعين رجل وامرأة عن كلّ ولاية ومحمية بالإضافة إلىواشنطن العاصمة، ويحتاج الطرف الساعي للتعديل، سواء في فريق ترامب او غيره، لنيل تأييد ما لا يقلّ عن 57 عضو كي يسري إخلاء سبيل المندوبين وتخويلهم التصويت لمن شاؤوا.

يرأس اللجنة عضو مجلس النواب السابقة عن ولاية يوتاه، اينيد ميكلسين، يرافقها عضو اللجنة القومية للحزب والمحامي المخضرم رون كوفمان. ويعتقد انّ ولاءهما لا يزال يحوم حول المرشح السابق ميت رومني، الذي لا يدخر جهداً لانتقاد امبراطور العقارات. وعليه، من الجائز ان تصطفّ اللجنة الى جانب الفريق المناوئ لحملة ترامب ومندوبيها.

الإجراءات المعتمدة من قبل اللجنة المذكورة ينبغي عليها الحصول على تأييد أغلبية بسيطة من مندوبي المؤتمر، 1.237 من مجموع 2.472. حملة ترامب تعدّ مؤيديها بين المندوبين بنحو 1.542، عددياً على الأقل، والطرف المقابل يحتاج لانتقال أزيد من 300 مندوب من قائمة ترامب لصالح تعديل في مادّة الإجراءات والتصويت عليها؛ الأمر الذي لا يعدّ مستحيلاً وربما مستبعداً حدوثه في ظلّ تخبّط حملة ترامب وتصريحاته المتناقضة والمثيرة للجدل.

ملياردير يعاني من شحّ التبرّعات

منذ بدء الحملة الانتخابية لم يول ترامب أهمية كبرى لسبل الدعم والتبرّعات المالية، معتمداً على أرصدته الخاصة في «إقراض حملته الانتخابية» وتمويلها ومن ثم يتهيأ لتلقي مبالغ مماثلة لسدادها، بخلاف السيدة كلينتون. تشير أغلب التقديرات الى تمكّن كلينتون من جمع نحو مليار دولار، بينما لا يزال ترامب يحجم عن طرق أبواب المموّلين الجمهوريين. وقد أعرب عدد من قادة الحزب الجمهوري عن قلقهم لندرة الميزانيات الانتخابية المتوفرة.

وصرّح ترامب لشبكة (ايه بي سي) للتلفزة مؤخراً انه تتملكه «مشاعر الغبطة والسرور لاستمرار تمويل الحملة ذاتياً... باستطاعتي إنفاق 50 او 60 او 70 مليون دولار من أموالي الخاصة وإدارة حملة انتخابية رائعة؛» معرباً أيضاً عن عدم قناعته بالإنفاق السخي على الحملات الدعائية. وأوضح «أذكركم بأنني أنفقت 50 مليون دولار (في بداية السباق) وفزت. البعض الآخر من المرشحين المنافسين أنفق أضعاف ذلك المبلغ، وخسر، بل لم يستطع مجاراة» نسبة التأييد الشعبي للفائز الأول.

قانون الانتخابات الأميركي الساري يمنح ترامب حق قبول تمويل مركزي (حكومي) تبلغ قيمته نحو 100 مليون دولار. إعلانه بقبول ذاك النمط من التمويل سيحرمه من تلقي التبرّعات المالية، وهو الرافض لأيّ قيود توضع على مساره. عدم القبول ايضاً يمكنه من الاستمرار في حملة انتقاداته القاسية للمرشحة كلينتون «كمرشح شريحة الأثرياء». يُشار في هذا الصدد الى تضافر دوافع جمهور بيرني ساندرز الرافض بشدّة لعلاقات كلينتون الوثيقة بوول ستريت مع حملة هجوم ترامب عليها، وقد يدفع العديد منهم الانتقال لتأييد المرشح ترامب نكاية بكلينتون.

استطلاعات الرأي

نسبة الفارق من مؤيدي كلينتون ضئيلة في المرحلة الراهنة، وتتراوح بين 1 الى 5 نقاط مئوية لصالحها ضدّ منافسها ترامب. بيد انّ القراءة المتأنية لنتائج الاستطلاعات تدلّ على ارتداد النسبة بالتبادل بينهما مما يشير الى استمرار حالة عدم اليقين لدى بعض الناخبين. في هذا السياق، دلّت استطلاعات الرأي المتعدّدة التي أجريت في أعقاب حادثة أورلاندو بولاية فلوريدا انّ بوسع ترامب تجسير الهوة مع كلينتون بعض الشيء. بل دلّت الاستطلاعات الأخيرة، الأسبوع المنصرم، على تزايد نسبة ثقة الناخبين بترامب في ما يخصّ جهود التصدّي للإرهاب وحماية المواطنين.

النسبة الضئيلة التي تتمتع بها كلينتون في الاستطلاعات المتعدّدة لا تعكس إرهاصات الولايات الحرجة، التي تصنّف بأنّ الفوز فيها حيوي والخسارة قاتلة. في تلك الولايات، تتضاءل نسبة الفارق بين المرشحين مما ينذر بحملة قاسية في الأسابيع المقبلة للطرفين.

أجرت جامعة «كوينيبياك» استطلاعاً مميّزاً الأسبوع الجاري في ثلاث ولايات «شقية»، تخللها هجوم إعلامي على ترامب ومقاضاته في ما يخصّ «جامعة ترامب» وتصريحاته العنصرية ضدّ القاضي المركزي المشرف على القضية، وإحجامه عن قبول التبرّعات المالية، وما برز من فوضى عارمة تسود أوساط فريقه الانتخابي. نتائج الاستطلاع دلّت على تعادله في إحدى أهمّ الولايات، أوهايو، مع كلينتون، وتخلفه بنقطة مئوية واحدة عنها في ولاية بنسلفانيا التي تصنّف في خانة الحزب الديمقراطي. أسوأ ما اشار اليه استطلاع «كوينيباك» تراجع نسبة تأييد ترامب في ولاية فلوريدا بفاصل عدة نقاط مئوية.

للإنصاف، ما تقدّم يشكل رؤية أولية وليست قاطعة لمسار الانتخابات، إذ دلّت النتائج السابقة على تخلف الفائز النهائي في نسبة التأييد الشعبي عند هذه النقطة الزمنية الفاصلة بالذات.

يسجل لصالح ترامب انّ شحّ إنفاقه على حملته الانتخابية، مقارنة مع منافسته كلينتون، يعزز من مكانته المتقاربة جداً مع كلينتون.

ويبقى السؤال انْ كان باستطاعة ترامب الحفاظ على زخم حملته الراهن للأشهر الخمسة المقبلة.